

صيد الخاطر

285 - فصل : شر البلاء عشق المال .

سبحان من جعل الخلق بين طرفي نقيض و المتوسط منهم يندر .
منهم من يغضب فيقتل و يضرب .

و منهم من هو أبله بقوة الحلم لا يؤثر عنده السب .
و منهم شره يتناول كل ما يشتهي .

و منهم متزهّد يتجفف فيمنع النفس حقها .

و كذلك سائر الأشياء المحمود منها المتوسط .

فالمنفق كل ما يجد مبذر و البخيل يخبئ المال و يمنع نفسه حظها .

و معلوم أن المال لا يراد لنفسه بل للمصالح فإذا بذر الإنسان فيه إحتاج إلى بذل و جهه و دينه و منه البلاء عليه و هذا لا يصلح .

و لأن يخلف الإنسان لعدوه أحسن من أن يحتاج إلى صديقه .

و من الناس من يبخل ثم يتفاوتون في البخل حتى ينتهي البلاء بهم إلى عشق عين المال .

فربما مات أحدهم هزالا و هو لا ينفقه فيأخذه الغير و يندم المخلف .

و لقد بلغني في هذا ما ليس فوقه مزيد ذكرته لتعتبر به .

فحدثني شيخنا أبو الفضل بن ناصر عن شيخه عبد المحسن الصوري قال : [كان بصور تاجر في غرفة له يأخذ كل ليلة من البقال رغيفين و جوزة فيدخل إلى غرفته و قت المغرب فيضرم النار في الجوزة فتضئ بمقدار ما ينزل ثوبه .

و في زمان إحراق القشر تكون قد استوت فيمسخ بها الرغيفين و يأكلهما .

فبقي على هذا مدة فمات فأخذ منه ملك صور ثلاثين ألفا] .

و رأيت أن رجلا من كبار العلماء قد مرض فاستلقى عند بعض أصدقائه ليس له من يخدمه و لا يرافقه و هو مضر فلما مات و جدوا بين كتبه خمسمائة دينار .

و حدثني أبو الحسن الراندي قال : [مرض رجل عندنا فبعث إلي فحضرت فقال : قد : ختم

القاضي على مالي فقلت : إن شئت قمت و فتحت الختم و أعطيتك الثلث تفرقة و تعمل به ما تشاء .

فقال : لا و [ما أريد أن أفرقه بل أريد مالي أن يكون عندي فقلت : ما يعطونك بلى أنا أخذ لك الثلث كي تكون حرا فيه .

فقال : لا أريد فمات و أخذ ماله] .

قال : [وجاء رجل فحدثني بعجيبه قال : مرضت حماتي فقالت لي : أريد أن تشتري لي خبيصا فإشترت لها و كانت ملقاة في صفة و نحن في صفة أخرى .
فجاءني ولدي الصغير و قال : يا سيدي إنها تبلى الذهب فقمت و إذا بها تجعل الدينار في شيء من الخبيص فتبلعه .

فأمسكت يدها و زجرتها عن هذا .
فقالت : أنا أخاف أن تتزوج على إبنتي فقلت : ما أفعل فقالت إحلقت لي فحلقت فأعطتني باقي الذهب ثم ماتت فدفنتها .
فلما كان بعد أشهر مات لنا طفل فحملناه إليها و أخذت معي خرقة خام و قلت للحفار : إجمع لي عظام تلك العجوز في الخرقة فجئت بها إلى البيت و تركتها في أجانة و صببت عليها الماء و حركتها فأخرت ثمانين دينارا أو نحوها كانت قد ابتلعتها [.
و حكى لي صديق لنا أن رجلا مات و دفن في الدار ثم نبش بعد مدة ليخرج فوجد تحت رأسه لبنة مقيرة .

فسأل أهله عنها فقالوا : هو قبر هذه اللبنة و أوصى أن تترك تحت رأسه في قبره و قال : إن اللبن يبلى سريعا و هذه لموضع القار لا تبلى .
فأخذوها فوجدوها رزينة فكسروها فوجدوا فيها تسعمائة دينار فتولاها أصحاب التركات .
و بلغني أن رجلا كان يكنس المساجد و يجمع ترايبها ثم ضربه لبنا فقيل له هذا لأي شيء ؟
فقال : هذا تراب مبارك و أريد أن يجعلوه على لحدي فلما مات جعل على لحده ففضل منه لبنات فرموها في البيت فجاء المطر فتفسخت اللبنات فإذا فيها دنانير .
فمضوا وكشفوا اللبن عن لحده و كله مملوء دنانير .
و لقد مات بعض أصدقائنا و كنت أعلم أن له مالا كثيرا و طال مرضه فما أطلع أهله على شيء و لا أكاد أشك أنه من شحه و حرصه على الحياة و رجائه أن يبقى لم يعلمهم بمدفونه خوفا أن يؤخذ فيحيا هو و قد أخذ المال .
و ما يكون بعد هذا الخزي شيء .
و حدثني بعض أصحابنا عن حالة شاهدها من هذا الفن قال : [كان فلان له و لدان ذكران و بنت و له ألف دينار مدفونة .

فمرض مرضا شديدا فاحتوشته أهله فقال لأحد ابنيه : لا تبرح من عندي .
فلما خلا به قال له : إن أخاك مشغول باللعب بالطيور و إن أختك لها زوج تركي و متى وصل من مالي إليهما شيء أنفقوه في اللعب و أنت على سبيلي و أخلاقي ولي في الموضوع الفلاني ألف دينار فإذا أنا مت فخذها وحدك فاشد بالرجل المرض فمضى الولد فأخذ المال فعوفي الأب ف جعل يسأل الولد أن يرد المال إليه فلا يفعل فمرض الولد فجعل الأب يتضرع إليه و يقول :

ويحك خصمتك بالمال دونهم فتموت فيذهب المال و يحك لا تفعل فما زال به حتى أخبره بمكانه فأخذه ثم عوفي الولد و مضت مدة فمرض الأب فاجتهد الولد أن يخبره بمكان المال و بالغ فلم يخبره و مات و ضاع المال .

فسبحان من أعدم هؤلاء العقول و الفهوم إن هم إلا كالأنعام بل هم أضلوا سبيلا